العولمة والأدب العربي المعاصر

تأليف

د. أسامة محمد البحيري





العدد 394 ذو القعدة- 1430هـ - نوفمبر2009 م

العولمة والأدب العربي المعاصر

تأليف

د. أسامة محمد البحيري



رئيس التحرير

د. عثمان بن محمود الصيني

الرياض - طريق صلاح الدين الأيوبي (الستين) - شارع المنفلوطي
هاتف: 4778990 - 4779792 فاكس: 4766464
ص.ب 5973 الرياض 11432
المملكة العربية السعودية

www.arabicmagazine.com - info@arabicmagazine.com


بسم الله الرحمن الرحيم

العولمة: المفهوم والتداعيات

«العولـة» مصطلـح مشتق من كلمة «عالم» -بفتح الـلام- وتعني الخلق، وتجمـع علـى «عـوالم»، ومعناها اللغـوي : تعميم الشـيء ، وتوسيع دائرته ليشمل العالم كله[1].

والعولـة ترجمـة للمصطلـح الإنجليـزي «Globalization» المشتق من كلمة «Globe» التي تعني في أحد معانيها الكرة الأرضية[2].

ويرتبـط بالعولـة مصطلـح آخـر هـو مصطلـح «الكونيـة» أو «العالميـة» (Universality - Universalism) ، ويعنـي الطمـوح إلى الارتقـاء بالخصوصية المحلية إلى المستوى العالمي ، أي أنه إذا كان يفهم من العولمة أنهـا السعـي إلى احتـواء العالم في أنمـوذج ثقافي غالب وحيـد يقضي على مظاهر الخصوصية والتعدد والاختلاف في العالم ، فإن مصطلح الكونية يعنـي انفتـاح الثقافة المحلية علـى الثقافة الكونية أو العالميـة دون القضاء على الهوية الذاتية ، والخصوصية الثقافية[3] .

إننا إن تتبعنا تعريفات (العولمة)، وجدناها من الكثرة بمكان، ولكنها على أي حال وبصورة موجزة:

---

(1) محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، 1998 م ، ص 16 .

(2) أحمد عبد الرحمن أحمد ، العولمة المفهوم والمظاهر والسلبيات ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلد 26 ، عدد 1 ، 1998 م ، ص 52 ، نقلا عن : صالح الدباسي ، العولمة والتربية ، الرياض ، ط1 سنة 2002 م، ص 15 .

(3) محمد عابد الجابري ، العولمة والهوية الثقافية (مرجع سابق) ، ص 17 .

«محاولـة مجتمـع ما تعميم أنموذجـه الثقافي على المجتمعـات الأخرى، مـن خـلال التأثـير في المفاهيـم الحضاريـة ، والقيـم الثقافيـة، والأنماط السلوكيـة لأفراد هـذه المجتمعات بوسائل سياسيـة، واقتصادية، وثقافية ، وتقنية متعددة»[1].

ولا شـك في أن مـن خصائص هذا المجتمع المؤثر الذي يسعى إلى تصدير أنموذجـه الثقـافي وتعميمـه أن يكـون في دولـة لهـا مـن الثقـل السياسـي والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي ما يؤهلها لأن تقوم بتصدير أنموذجها وتعميمه في غيرها من الدول .

لذلـك يـرى كثـير مـن الباحثـين وجـود تـلازم وثيـق بـين «العولـة» و«الأمركـة»[2]، لأن مصطلـح العولمة بـدأ الترويج له بعـد إعلان الولايات المتحـدة الأمريكيـة مـا يسمـى بالنظـام العالمـي الجديـد (New World Order) ، وبدأت الدعوة إلى توسيع الأنموذج الأمريكي ، وإتاحة المجال له ليشمـل العـالم كله ، ليس فقط في مجالات إنتاج المعرفة وعلاقاتها ، وإنما في المجالات المتصلة المقترنة بالأزياء والمأكولات والمشروبات . والنتيجة هي محاولة إشاعة نوع بعينه من الأزياء ، والطعام ، والعمارة ، في موازاة أسلوب واحـد من التعليـم ، وقيم الحياة الترفيهية والاستهلاكيـة التي يروج لها

---

(1) محمد البشـر ، أوروبا تجارب العولمة ، المجلة العربية ، الرياض ، عدد 343 ، ربيع الآخر سـنة 1418 هـ، ص 36 .
(2) المرجع السابق : ص 37 .

النفوذ الأمريكي المهيمن[1].

إن هناك ثلاث عمليات ترتبط بالعولمة، وتكشف عن جوهرها، وهي :

1 - انتشار ثورة المعلومات، وشيوعها بين الناس (الفضائيات، والإنترنت).

2 - تغييب الحدود الفاصلة بين الدول، ومحاولة تذويبها (اتفاقية الجات).

3 - زيادة معدلات التشابه بين الجماعات والمؤسسات والمجتمعات.

هذه العمليات المصاحبة للعولمة والناتجة عنها تؤدي إلى نتائج سلبية لبعض المجتمعات، ونتائج إيجابية لمجتمعات أخرى[2].

وكما فرضت العولمة حضورها وهيمنتها الاقتصادية والصناعية والسياسية على الكوكب الأرضي بالفعل، عابرة القارات، ملغية الحدود السياسية، مهددة الدولة الوطنية، ومقلصة لنفوذها، أخذت العولمة تفرض قسرا حضورها وهيمنتها الثقافية والمعرفية بوسائل عديدة ووسائط متعددة، عبر أدوات أيديولوجية جديدة، ووسائل اتصال ما بعد حداثية، فأشاعت حضورها الغالب، وأحكمت سيطرتها متنوعة الجوانب والأبعاد

---

(1) جابر عصفور، النقد الأدبي والهوية الثقافية، كتاب مجلة دبي الثقافية، عدد 21، فبراير سنة 2009 م، 16.

(2) السيد ياسين، في مفهوم العولمة (العرب والعولمة)، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1998م، ص 27، ويراجع : صالح الدباسي، العولمة والتربية، ص 35.

علـى العـالم كله ، وذلـك على نحو جعل من الكوكـب الأرضي كوكبا معولما بالفعـل[1]، فيمـا بات يعرف بـ «القرية الكونية الصغـيرة»أو بتعبير أحدث «الغرفة الكونية».

وطبيعـي أن تـؤدي العولمـة إلى إيجـاد نقائضهـا ، حسـب سنـة التدافع ، وحسب القانون الذي يقول : كل فعل له رد فعل مساو له في المقدار ، ومضاد له في الاتجاه.

هكـذا ظهـرت الأصوليـات القوميـة ، والدينية ، والعرقيـة ، رد فعل على العولمة ، وفي نوع جديد من المقاومة لوحشيتها الاقتصادية التي لا هم لها سـوى الاستغـلال والهيمنة الجديدة التي هـي أسوأ من الهيمنة المنقضية للاستعمار القديم . وظهرت الأصوات المعادية للصفات الوحشية للعولمة ، حتى في المركز الأمريكي الأوروبي الذي أنتجها ، ولا يزال يحمي صعودها ، ويبرر أيديولوجيا هيمنتها التي تزيد الفقراء فقرا والأغنياء غنى ، وتسعى دول الجنـوب إلى عقـد المؤتمـرات التي لا تتوقف عن الحـوار فيها مع دول الشمـال ، سعيـا لإيجاد وضع إنسـاني عادل ، وحياة واعـدة تواجه الكوارث التـي أخـذت تترتـب علـى الصعـود القاهـر للعولمـة اقتصاديـا ، وسياسيا، واجتماعيا ، وثقافياً[2].

---

(1) جابر عصفور ، النقد الأدبي والهوية الثقافية ، ص 16 .

(2) المرجع السابق : ص 18 .

ولعل مواجهة النمط الثقافي الأوحد الذي تسعى العولمة إلى فرضه على شعوب العالم تكون بالدعوة إلى نقضه ، ومواجهته بنمط ثقافي يقوم على التنوع الخلاق الذي يحترم الخصوصيات الثقافية والهويات الحضارية. ولا تزال دعوة التنوع الخلاق — في هذا السياق — مقرونة بالانفتاح لا الانغلاق ، والتسامح لا التعصب ، واحترام الاختلاف وليس إلغاءه ، وقبول المغايرة والتعددية لا التضاد .

وبهذا يكون التنوع الثقافي الخلاق هو السبيل الواحد للخروج من بين شقي الرحى : العولمة الوحشية ، والأصوليات المنغلقة التي تناقضها[1].

تداعيات العولمة في الأدب العربي المعاصر

أثرت مظاهر العولمة وتداعياتها الثقافية والتكنولوجية في الأدب العربي المعاصر تشكيلا ورؤية ، وأوجدت تحديات جديدة في آليات إبداعه وتلقيه، وأسهمت في ذيوع بعض إبداعاته وانتشارها ، وأتاحت الفرصة لنمو ألوان أدبية جديدة في ظل ثورة المعلومات ، وهيمنة الشبكة العنكبوتية (الإنترنت).

ومن أهم تأثيرات العولمة :

1 – تأكيد مفهوم الهوية الوطنية وخصوصية الثقافة :

ارتبط مفهوم الثقافة الوطنية - عربيا وإسلامياً - في نشأته بالدفاع

---

(1) نفسه : ص 19 .

عن الهوية الوطنية في مواجهة الغزو الاستعماري الذي حاول القضاء على الشعور القومي ، وطمس ملامح الهوية الثقافية بما يدعم – فكرياً – إحكام قبضة السيطرة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وفرض هيمنته الثقافية بكافة الوسائل القمعية على البلاد المستعمرة .

وتأسس مفهوم الثقافة الوطنية منطويا على علاقة التضاد مع ثقافة المستعمر العدواني حتى بعد رحيله، خاصة ما يتصل بالاستراتيجيات القمعية التي حاولت بها هذه الثقافة تأكيد التبعية بإشاعة روح الاتباع النقلي لأفكارها وقيمها . وفي الوقت نفسه التهوين من كل ما عداها ونبذه خارج دائرة التقدم .

علاقة التضاد والتخالف مع ثقافة المستعمر أكدتها علاقة التآلف مع عناصر التراث العربي والإسلامي، وأصبح حضور التراث أساسيا في تأكيد مفهوم الثقافة الوطنية وتعميق الجذور التاريخية للهوية الوطنية، وامتداد ظلالها المعرفية . وغدا حضور التراث وتجلياته في الثقافة والإبداع سلاحا من أسلحة مقاومة الآخر (العدواني) الذي يدين لهذا التراث نفسه في نهضته العلمية التي بدأ بها عصره الاستعماري الحديث[1] .

زاد مفهوم الهوية الوطنية وخصوصية الثقافة رسوخا بعد شيوع الحديث عن تداعيات العولمة ومظاهرها السلبية ، فتم تدعيم المؤسسات التي تهتم

---

(1) نفسه : ص 33 ، 34 .

بالـتراث والتاريـخ في العـالم العربـي مثل دار الكتـب والوثائـق القومية ، ومكتبة الإسكندرية في مصر ، ودارة الملك عبد العزيز ، ومهرجان الجنادرية (المهرجـان الوطنـي للثقافة والتراث) ، ومركز سعـود البابطين الخيري للتراث والثقافة في السعودية ، ومركز زايد للتراث ، والمجمع الثقافي بدولة الإمـارات العربيـة ، ومركـز التراث اللبناني في بـيروت وغيرها من مراكز حفظ التراث في العالم العربي .

ولعـل حرص المثقفـين العراقيـين علـى استعـادة الكنـوز الأثريـة التي سرقـت من المتاحف العراقية عقب الغـزو الأمريكي للعراق ، وإعادة افتتاح المتحف الوطني العراقي لضم هذه الآثار مرة أخرى في عام 2009م ، يجسد الحرص على تأصيل الهوية الوطنية ، والتشبث بالجذور التراثية .

وبـرزت الدعـوة إلى حفظ التراث الشفهي ، وتدويـن المأثورات الشعبية، ودراستهـا وتحليلهـا لأهميتهـا في الحفاظ على الهويـة الوطنية ، وتحقيق الخصوصيـة الثقافيـة كمـا يقـول الدكتور محمـد رجب النجـار : «حيث الثقافـة هـي الهويـة، والهوية هـي الثقافة ، فالعـالم كله أمـام شبح عصر العولـة ، لذلـك على المجتمعات أن تبادر بجمـع ثقافتها الشعبية وخطابها الأدبـي ، والحفاظ عليهمـا أمام ما يسمى بالغزو الثقافي الذي أتت به ثورة الاتصـالات ، وهـو غـزو لا مفـر منه شئنا أم لم نشـأ ، ولا عاصم لنا منه إلا

بالاعتصام بالثقافة القومية ، ولكن دون انغلاق عليها»[1] .

وصدرت دوريات عربية تهتم بقضايا التراث ، ونشر المخطوطات العربية، كدورية «جذور» التي يصدرها النادي الأدبي في جدة ، ودورية «الذخائر» البيروتية ، ومجلة التراث الشعبي ، وسلسلة الدراسات الشعبية التي تصدرهما هيئة قصور الثقافة في مصر ، ومجلة الثقافة الشعبية التي تصدر في البحرين .

وبدأت الجهود الحثيثة لتدوين التراث الشعبي الشفاهي ، كما فعل الشاعر المصري عبد الرحمن الأبنودي في تدوين السيرة الهلالية كتابة في ثلاثة مجلدات صدرت عن مؤسسة الأهرام في مصر ، وأعاد إصدارها بوسائط سمعية ومرئية في شرائط كاسيت وإسطوانات مدمجة (CD)، ثم سجلها – مؤخرا – مسموعة ومرئية في التليفزيون المصري . وكما فعلت الدكتورة لمياء باعشن أستاذ الأدب الإنجليزي المساعد في جامعة الملك عبد العزيز بتدوين مجموعة من الحكايات الشعبية الحجازية في كتاب « التبات والنبات» ، وأصدرت إسطوانة مدمجة (CD) بعنوان «دوها» أعادت بها إنتاج مجموعة من الأهازيج الشعبية في منطقة الحجاز[2] .

وزاد الاهتمام الإبداعي والنقدي والأكاديمي برصد مظاهر حضور

---

(1) من حوار للدكتور محمد رجب النجار أجراه معه الروائي السعودي عبده خال ، ونشر في مجلة الراوي ، النادي الأدبي بجدة ، عدد 20 ، مارس 2009م ، ص 22 .

(2) منقول عن سيرة لمياء باعشن الملحقة بكتاب زوايا الدائرة ، جدة ، ط1 سنة 2008 م ، ص 169 .

التراث والتاريخ في الإبداع العربي المعاصر ، تجلى ذلك في كثرة المقالات الصحفية ، والأبحاث والدراسات والأطروحات الجامعية التي ترصد وتحلل تجليات العناصر التراثية في ألوان الإبداع شعراً ونثراً.

وظهر ذلك في تفاعل السرد مع التاريخ العربي والإسلامي منذ بدايات الرواية العربية ، واستمرار هذا التفاعل حتى وقتنا الحاضر ، ولا أدل على ذلك من أن الروايتين اللتين فازتا بجائزة البوكر العربية – كبرى جوائز الرواية في العالم - في العامين الأخيرين روايتان تاريخيتان (أو توظفان التاريخ) ، هما :

رواية «واحة الغروب» للروائي المصري «بهاء طاهر»، ورواية «عزازيل» للروائي المصري «يوسف زيدان».

وفاز بجائزة «الشيخ زايد للكتاب» - في عاميها الأخيرين - روائيان من أشهر كتاب الرواية التاريخية ، هما:

الروائي الجزائري «واسيني الأعرج» ، والروائي المصري «جمال الغيطاني».

وبهذا نلاحظ حركة إبداعية ونقدية نشطة تحاول الاعتصام بالجذور، والتشبث بها لتأكيد مفهوم الهوية الوطنية والخصوصية الثقافية والحضارية ، والوقوف أمام سيل العولمة الجارف .

2 – القضاء على ثنائية المراكز والأطراف:

عاش الأدب العربي الحديث فترة زمنية طويلة - بسبب ظروف

سياسية وحضارية اختلفت من بلد عربي إلى آخر – ما يعرف بثنائية المراكز والأطراف .

المراكز التي تنتج الأدب بألوانه الحديثة ، وتياراته المتتابعة في مصر وبلاد الشام ، والأطراف التي تتلقى هذه الألوان الأدبية الحديثة ، وتختلف حولها بين مؤيد ومعارض ، ولا تشارك في فعالياتها إلا من موقعها في الأطراف والهامش في دول المغرب العربي ، ودول الخليج العربي ، واليمن .

وكان اللون الأدبي الجديد يظهر أولا في بلاد المركز ، ثم يبدأ في الظهور بعد فترة طويلة في بلاد الأطراف ، فظهر المسرح أولا في بلاد الشام ومصر في الثلث الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، ثم ظهر المسرح بعد ذلك بقرن من الزمان في دول الخليج .

وظهرت أول رواية بالمفهوم الفني في الأدب العربي الحديث في مصر سنة 1914م، وهي رواية «زينب» للأستاذ محمد حسين هيكل، ثم ظهرت أول رواية بالمفهوم التاريخي في السعودية سنة 1930م ، وهي رواية «التوأمان» للأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، بينما ظهرت أول رواية بالمفهوم الفني في السعودية سنة 1958م ، وهي رواية «ثمن التضحية» للأستاذ حامد دمنهوري .

ونشرت أول قصة قصيرة في السعودية سنة 1926م في كتاب «أدب الحجاز» بعنوان «على ملعب الحوادث» للكاتب «عبد الوهاب آشي» ، بعد ظهور القصة

القصيرة في مصر بعقدين من الزمان[1].

مما سبق نلاحظ سيطرة ثنائية المراكز والأطراف على حركة الأدب العربي الحديث في كثير من الأجناس الأدبية.

ولكن ثورة المعلومات، وسرعة الاتصالات أسهمت في التقريب بين مراكز الأدب العربي وأطرافه، وتعدد المراكز التي تنطلق منها الألوان الأدبية الجديدة، كالقصة القصيرة جدا، وهي بنية سردية مكثفة تتميز بالإيجاز الشديد من الناحية التشكيلية، وتنفتح فيها الرؤية دلاليا وتأويليا، لتعبر عن الهموم الذاتية، والاجتماعية، الإنسانية .

فقد نشر كتاب «اعترافات» للأديبة الفرنسية «ناتالي ساروت» (وهو يمثل المرجعية الغربية لهذا الفن السردي المحدث) في باريس عام 1969م، وترجم إلى اللغة العربية عام 1971م، ونشر في الهيئة المصرية العامة للكتاب، وكتب مترجمه الأستاذ « فتحي العشري» على غلافه « قصص قصيرة جدا» مستخدما هذا المصطلح لأول مرة في الأدب العربي الحديث. وبدأت إبداعات الأدباء العرب تتوالى في كتابة هذا اللون السردي الجديد، إلى أن أصدر القاص السوري «نبيل جديد» أول مجموعة كاملة من هذا الجنس الإبداعي، وهي « الرقص فوق الأسطح» في عام 1976م، وقدم لها

---

(1) يراجع : كتب تاريخ الأدب السعودي ، ومنها كتاب محمد صالح الشنطي ، في الأدب السعودي ، دار الأندلس ، حائل ، السعودية ، ط4 سنة 2006 م ، ص 300 ، 499 .

بمقدمة تنم عن وعيه الأدبي والنقدي بخصائص تلك البنية السردية المكثفة، ونشر القاص السعودي «جبير المليحان» إحدى عشرة قصة قصيرة جدا في ملحق المربد الثقافي بجريدة اليوم السعودية بتاريخ 10 / 4 / 1976م [1].

وبدأت بعد ذلك تتوالى إبداعات القصة القصيرة جدا تتوالى متزامنة في دول عربية كثيرة في مصر، وسوريا، والسعودية، والمغرب. وعقدت عدة مؤتمرات وملتقيات أدبية لهذا اللون السردي المحدث في مطلع القرن الحادي والعشرين في سوريا، والمغرب. ونشرت نماذج كثيرة منه في المنتديات الإلكترونية مثل منتدى القصة العربية الذي يشرف عليه القاص السعودي جبير المليحان.

وصدرت في الفترة الأخيرة مجموعات كاملة من القصة القصيرة جداً لأدباء كثيرين في دول عربية مختلفة في مصر (محمد المخزنجي)، وسوريا (أحمد الحسين)، والسعودية (جبير المليحان -حسن البطران - منيرة الأزيمع)، والمغرب (مصطفى لغتيري).

ونشرت كتب ودراسات كثيرة عن القصة القصيرة جدا لأحمد جاسم الحسين في سوريا، و جميل حمداوي، وسعاد مسكين في المغرب، و حسين

---

(1) أسامة البحيري، القصة القصيرة جدا في السعودية (مقاربة نصية)، مجلة الراوي، النادي الأدبي في جدة، عدد 20، مارس 2009 م، ص 30.

علي محمد في السعودية ومصر ، ونشر لكاتب هذه السطور دراسة عن القصة القصيرة جدا في السعودية [1].

أي أن فن القصة القصيرة جدا بدأ في الظهور والانتشار في بلاد المركز (سوريا ومصر) وبلاد الأطراف (السعودية والمغرب) في سياق النسق الزمني الإبداعي نفسه، مؤذنا -في رأيي- بانتهاء ثنائية المراكز والأطراف التي سادت طويلا الساحة الأدبية والنقدية في العالم العربي .

3 – فتح آفاق جديدة أمام الأدب العربي:

عاش الأدب العربي الحديث فترة طويلة منغلقا على نفسه، لا يتداول إلا في نطاق الدول العربية فقط، وعانى إهمالا عالميا متعمدا على مستوى القراءة والاطلاع، وعلى مستوى التقدير والاحتفاء . انطلق هذا الإهمال من سببين رئيسين ، هما :

1 – تقصير العرب في ترجمة آدابهم إلى اللغات المختلفة، وتكاسلهم في تعريف شعوب العالم بالعناصر الإبداعية والإنسانية في الأدب العربي.

2 – دونية النظرة الغربية إلى الأدب العربي ، وهو موقف مبني على نظرة استعمارية براجماتية ترتب الأدب والثقافة في علاقة مطردة مع

(1) براجع : أحمد جاسم الحسين ، القصة القصيرة جدا ، منشورات عكرمة ، دمشق ، 1997م ، ودراسة حسين علي محمد في كتابه في الأدب السعودي ، دار النشر الدولي ، ط1 سنة 1429هـ ، ص –201 218 ، ودراسة جميل حمداوي ، مميزات القصة القصيرة جدا ، مجلة أبعاد ، النادي الأدبي بالقصيم ، السعودية ، عدد 3 سنة 1429هـ ، ص 30 ، ودراسة سعاد مسكين ، القصة القصيرة جدا إشكالية البناء والدلالة ، المجلة العربية ، الرياض ، عدد382 ، ذو القعدة 1429هـ ، ص 6 ، ودراسة أسامة البحيري المشار إليها سابقاً .

الوضع السياسي والاقتصادي المتدني للدول العربية .

تجلى ذلك في فوز أديب عربي واحد (نجيب محفوظ عام 1988م) بجائزة نوبل للآداب ، على امتداد عمرها الذي زاد على قرن من الزمان (1901 - 2009 م)

وفي موسوعة «الدليل المرجعي إلى أدب العالم» Reference Guide to World Literature وهي موسوعة ضخمة صدرت طبعتها الثانية سنة 1995م في 1520 صفحة من القطع الكبير الخاص بالموسوعات.

تتناول هذه الموسوعة آداب العالم القديمة والحديثة ، وتركز على الآداب الأوروبية والأمريكية بصفة خاصة ، ولم تشر الموسوعة إلى الأدب العربي القديم إطلاقا ، وكأنه خارج سياق الأدب العالمي تماما . ولم تورد إلا اسمين فقط يمثلان الأدب العربي الحديث ، هما : توفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، لأن أعمالهما الأدبية ترجمت إلى اللغات الأوربية قبل فوز نجيب محفوظ بجائزة نوبل بفترة طويلة[1] .

هذا التعامل المنطوي على إهمال جسيم واحتقار متعمد للأدب العربي وأعلامه بدأ يتغير -بصورة ملحوظة- إلى التقدير والاحتفاء بفعل عوامل متعددة انبثقت من تداعيات العولمة، أهمها:

1 - انتشار مراكز ومؤسسات الترجمة المضادة في العالم العربي التي

---

(1) نقلا عن : جابر عصفور ، النقد الأدبي والهوية الثقافية ، ص - 261 270 بإيجاز وتصرف .

تترجم الإبداعات العربية -وخاصة الرواية- إلى اللغات المختلفة ، كمركز النشر بالجامعة الأمريكية الذي ينظم مسابقة سنوية للرواية العربية ، ويقوم بترجمة الرواية الفائزة إلى اللغة الإنجليزية (ترجم في إطار هذه الجائزة كتاب «رأيت رام الله» للأديب الفلسطيني مريد البرغوثي، ورواية «لا أحد ينام في الإسكندرية» للروائي المصري إبراهيم عبد المجيد) ، ومركز الترجمة بمؤسسة الأهرام في مصر ، ولعله أول مركز ترجم أعمالا أدبية عربية إلى اللغة الصينية ، وجمعية الترجمة العربية وحوار الثقافات في مصر ، وجائزة الشيخ زايد لأحسن كتاب مترجم من العربية إلى اللغات الأجنبية ، ومشروع ترجمة الأدب السعودي إلى اللغتين الإنجليزية والفرنسية الذي يشرف عليه الشاعر حسن صلهبي رئيس منتدى الشعر في نادي جازان الأدبي ، ومعه فريق عمل في منتدى « قامات» الأدبي الإلكتروني، وكشف الدكتور أبو بكر باقادر عن إصدار مجموعة من الكتب السعودية المهمة عبر عدد من اللغات الأجنبية من بينها الفرنسية والروسية ، لتمثل المشروع الثقافي السعودي الأدبي (جريدة عكاظ السعودية العدد 3110 بتاريخ 10 / 4 / 2009 م) .

وترجمت في الفترة الأخيرة أعمال أدبية عربية كثيرة من قبل مترجمين ومستعربين غربيين إلى اللغات الأوروبية ، ونشرت في دور نشر عالمية مرموقة كروايات جمال الغيطاني ، وعلاء الأسواني ، ونوال السعداوي ، وإبراهيم عبد المجيد ، وغازي القصيبي ، ورجاء الصانع ، ويوسف المحيميد،

وأحلام مستغانمي، ودواوين أدونيس، ومحمود درويش، وسعدي يوسف وغيرهم من الأدباء في كثير من البلاد العربية.

وبدأت منذ فترة في إسرائيل حركة نشطة لترجمة الروايات العربية إلى اللغة العبرية، يقوم بها عدد من اليهود ذوي الأصول العربية، ويتم استغلال هذه الترجمات في أغراض كثيرة بحثية واستخباراتية.

2 – قيام بعض الأدباء العرب بكتابة إبداعاتهم باللغات الأوروبية كالروائي الجزائري «الطاهر بن جلون»، والكاتبة الجزائرية «آسيا جبار»، والروائية المصرية «أهداف سويف»، والأديب السعودي «أحمد أبودهمان»، والكاتب الصومالي نور الدين فرح وغيرهم .

3 – عقد كثير من المؤتمرات الدولية التي ناقشت علاقة الأدب العربي بالعالمية والمستجدات الأدبية والنقدية في عصر العولمة، كالمؤتمرات النقدية الدولية التي نظمتها الجمعية المصرية للنقد الأدبي برئاسة العلامة الجليل الدكتور عز الدين إسماعيل -رحمه الله-، ومؤتمر «الأدب العربي والعالمية» الذي نظمه المجلس الأعلى للثقافة في مصر سنة 1999م. ومشروع «الخطة الشاملة للثقافة العربية» الذي أشرفت عليه المنظمة العربية للثقافة والعلوم (الأليسكو) وصدرت مجلداته سنة 1996م، وأعيد تطويرها وتحديثها بعد ذلك لتشمل موضوعات تحديات العولمة، والتنمية الثقافية، وحرية الإبداع والبحث العلمي.

4 – استغلال النشر الإلكتروني في تسويق الأعمال الأدبية العربية (تم

تحميل أكثر من نصف مليون نسخة من رواية « عزازيل» للدكتور يوسف زيدان التي فازت بجائزة البوكر العربية هذا العام 2009م) ، وانتشار ألوان أدبية جديدة في عدد كبير من المنتديات الأدبية العربية على الإنترنت كالقصة القصيرة جدا ، والأدب الرقمي والأدب التفاعلي الذي يستفيد من تداخل الفنون ، وتعدد الوسائط ، وإمكانات الثورة الرقمية الهائلة ، ويشرك المتلقي في تشكيل جماليات العمل الفني ، وتفعيل دلالته وتأويلها ، ويعتمد على النشر الإلكتروني بصفة خاصة .

فقد نشر الأديب الأردني «محمد سناجلة» أول رواية عربية رقمية هي «ظلال الواحد» سنة 2001م ، وأتبعها برواية «شات» سنة 2005م ، ونشر بعدها روايته الرقمية الثالثة «صقيع» سنة 2006م .

وأفاد الشعر العربي من هذه التقانة الجديدة في النشر ، فحمل لنا عام 2007م بشرى ميلاد أول قصيدة رقمية عربية تفاعلية مستقلة منشورة على الإنترنت ومطبوعة على إسطوانة مدمجة (C D) وهي قصيدة الشاعر العراقي عباس مشتاق معن ، بعنوان «تباريح رقمية لسيرة بعضها أزرق».

وفي إطار الأدب الرقمي جاءت تجربة الشعر المرئي الرائدة التي عرضها الشاعر السعودي «محمد حبيبي» في نادي جازان الأدبي في ديسمبر سنة 2006م بعنوان «غواية المكان»، وأتبعها بعمله الشعري الرقمي الثاني «حدقة تسرد» في سنة 2007م .

5 – رواج نصوص الجوال (المحمول) وانتشارها ، وهي تقنية اتصالية انبثقت من تداعيات العولمة الاتصالية والرقمية ، فمنذ «أرسل المهندس البريطاني نيل بابوورث (Neil Papworth) أول رسالة إلكترونية في 3 ديسمبر عام 1992م على شكل تهنئة بعيد الميلاد المجيد من كمبيوتره إلى جوال أحد زملائه ،حملت تلك الرسالة معها تباشير الثورة النصية التي نعيشها اليوم... وظهرت خدمة الرسائل القصيرة (SMS Short Message Service) كبروتوكول اتصالي حديث يسمح للمشتركين بإرسال نصوص باستخدام الجوال لتحل محل كثير من المراسلات التقليدية»[1].

تتميز النصوص التواصلية المتداولة عبر الجوال بالإيجاز والتكثيف الشديد استجابة لصغر مساحة شاشة الجوال ، وتلاشي معنى الخصوصية والحميمية التي كانت موجودة في الرسائل التقليدية ، وضياع حقوق الملكية الفكرية للنصوص المتداولة نظرا لإعادة إرسال النص أكثر من مرة بواسطة أشخاص كثيرين ، وإحساس المرسل بقدر كبير من الحرية ، نتيجة لانعدام المواجهة بين المرسل والمستقبل[2].

وقد استغلت دور نشر عريقة في أوروبا وأمريكا واليابان خدمة رسائل الجوال (SMS) في نشر وترويج آدابها الكلاسيكية والمعاصرة ، وهذه

---

(1) لمياء باعشن ، زوايا الدائرة (مرجع سابق) ، ص 7، 8 .

(2) المرجع السابق : ص -149 ، بإيجاز وتصرف .

الخدمة التواصلية تصلح تماما لنشر القصائد القصيرة، والقصة القصيرة جدا على نطاق واسع.

وصدرت عدد من الكتب والدراسات العربية ترصد، وتسجل، وتوثق، وتحلل النصوص الأدبية وغير الأدبية المتداولة عبر الجوال، ككتاب «رسائل المحمول (الجوال)» للدكتور محمد جلاء إدريس أستاذ الأدب المقارن بجامعة طنطا في مصر، الصادر عن دار الآداب عام 2009م، ودراسة الدكتور عبد الرحمن المحسني الأستاذ المساعد بجامعة الملك خالد بالسعودية عن «قصائد (SMS)» التي ألقاها في ملتقى القصيم الأدبي (جماليات القصيدة المعاصرة في السعودية عام 1428هـ)، وكتاب «رسائل الموبايل» للكاتبة والصحفية العراقية كليشان البياتي، وهي تسجل رسائل الجوال المتداولة في خضم المعارك ونزيف الدم اليومي المستمر في العراق، وتحلل دورها في التخفيف عن الناس، وإدخال لحظات من السعادة والفرح والفكاهة على قلوبهم التي أرهقتها مناظر الدم والقتل.

ونشرت الدكتورة لمياء باعشن من جامعة الملك عبد العزيز بالسعودية كتاب «زوايا الدائرة» عام 2008م، جمعت فيه عددا من الرسائل والردود الأدبية التي تداولتها عبر الجوال في موضوعات أدبية مختلفة مع مجموعة من المثقفين السعوديين والمثقفات السعوديات (منصور الحازمي – معجب الزهراني – عبده خال – حليمة مظفر – عبد الله ثابت – سهام القحطاني – عبد الله التعزي – أمل زاهد – إبراهيم صعابي –

محمد الدبيسي – أمل القثامي – خالد أحمد – خالد ربيع السيد – إيمان الصبحي – أروى خميس – سمية جبرتي – ميادة زعزوع – زينب غاصب – أحمد قران الزهراني)، وهي تقدم الكتاب ، وتعرض محتواه، والهدف منه بقولها :

«يعرض هذا الكتاب تجربة واقعية أخذت شكل اللعبة الحيوية التي شارك فيها مجموعة من الأدباء السعوديين والأديبات بشكل طبيعي غير مصطنع، وحقيقي غير متكلف على مدى أشهر طويلة من عام 1428هـ، فعلت فيها بدوري فكرة دائرة التراسل الجماعية حيث كنت أبدأ بإرسال جملة محفزة على شكل خاطرة أو ومضة تستثير متلقيها إلى درجة الرغبة في التعليق على مضمونها ، إما بمماثلتها ، أو نقضها، أو تأكيدها. وقد ينطلق المتلقي من الومضة المحفزة إلى فكرة انتقادية ، أو مقاومة، أو اختبارية ، أو جدلية، فتتضح حينها ملامح الدور الإيجابي الذي يضطلع به القارئ، ليس فقط في تأويل النص المستقبل ، بل في صنعه وتطويره. باستعداد بسيط تهيأ أفراد المجموعة للتلقي ثم للإرسال، وقد كان انسجامهم ملحوظا ، وظلوا في حالة تأهب وانتظار حتى النهاية .

وكان شرط التجاوب الأساسي هو الكتابة على جهاز الجوال مباشرة وفورياً، وفي حدود مساحة صغيرة وزمن قصير ، فالمساحة المحدودة والوقت المحدد يجبر الكاتب على التعبير عن فكره بحدة وتركيز شديدين، مما يزيد من وتيرة التحدي والتشويق ، كما يدفع صغر

المساحة إلى التحايل على محدودية اللفظ، ومحاولة تخطي المعنى المباشر إلى آخر أكثر دلالة وعمقاً.

إن الهدف الرئيس لخروج هذا الكتاب هو محاولة الوقوف عند الدلالة الجديدة لهذه النصوص التداولية، والكشف عن القوة الكتابية الخلاقة التي تتجلى من خلال النصوص الحاسوبية المحكومة بجهاز الجوال ومواصفاته، وعن القدرة التجاوبية الفورية بتعبير راق في حدود فضائية وزمنية معينة فرضها الوسط الكتابي الإلكتروني»[1].

6 – دخول القنوات الفضائية في مجال نشر الشعر العربي، وترويجه لدى قطاع كبير من المشاهدين عربيا ودوليا، مثل برنامجي «أمير الشعراء» في الشعر الفصيح، و برنامج «شاعر المليون» في الشعر النبطي (من إنتاج قناة «أبو ظبي» الفضائية)، وبرنامج «شاعر العرب» (في الشعر الفصيح) الذي تنتجه قناة المستقلة الفضائية. ومع العيوب التي توجه إلى تلك المسابقات، والانتقادات الموجهة إلى شروطها، وآليات تحكيمها، فقد أسهمت في زيادة جماهيرية الشعر، واستقطاب أعداد غفيرة، وقطاعات وفئات مختلفة لم تكن تقبل على قراءة الشعر، والاستماع إليه وتذوقه قبل تلك البرامج الجماهيرية التفاعلية. يؤيد ذلك نسبة المشاهدة العالية، وكثرة الاتصالات التي تبلغ ملايين الرسائل والمكالمات (وإن كان كثير منها

---

(1) نفسه: ص 47، 48.

من باب التعصب القطري) .

وجعلت هذه البرامج الجماهيرية الشعراء المغمورين إعلاميا نجوما مشهورين ، ورددت الجماهير أسماءهم، وعرفت كثيراً عن حياتهم ، وإنتاجهم الشعري .

وبهذا يمكننا أن نتخيل الإمكانيات الهائلة التي يمكن أن توفرها الثورة الرقمية والاتصالية (تداعيات العولمة) لنشر الأدب العربي ، وتداوله على نطاق واسع محلياً، وعربياً، ودولياً.

4 - اتساع مجال التعبير عن الأقليات والمهمشين:

تبنت الأمم المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية في الفترة الأخيرة تفعيل مواثيق حقوق الإنسان ، وإصدار تقارير دورية عن حالات انتهاكات حقوق الإنسان في دول العالم المختلفة ، واستغلت الولايات المتحدة الأمريكية ملف حقوق الإنسان للضغط على دول مختلفة ، وتحقيق مكاسب سياسية كثيرة.

ونتيجة لذلك ارتفعت في أقطار عربية كثيرة حدة الأصوات المطالبة بحقوق الأقليات والمهمشين في حرية التعبير ، وحرية العقيدة ، وحرية الانتقال ، والسماح لهم بتولي المناصب القيادية ، والتمثيل النيابي، وتعدى الأمر إلى الاستقواء بالقوى الدولية الخارجية لتحقيق تلك المطالب .

يظهر ذلك الأمر في ازدياد المكاسب التي حققها الأقباط في مصر ، وفي اتفاقية السلام التي وقعتها الحكومة السودانية مع حركة تحرير السودان

في الجنوب، وفي تفجر مشكلة دارفور، ومشكلة البربر وإقليم الصحراء في الجزائر والمغرب، وفي بعض الاضطرابات التي شهدتها الدول التي بها أقليات شيعية.

وانعكس ذلك على تشكيل صورة الأقليات في الفن والأدب، فزادت مساحة التعبير عن الأقليات والمهمشين، وصدرت أعمال فنية بكاملها تتحدث عن هموم هذه الأقليات والطبقات ومشكلاتها، مثل فيلم «بحب السيما» الذي يرصد حياة عائلة قبطية في مصر في فترة الستينيات، وقوبل الفيلم باعتراضات شديدة من قيادات الكنيسة.

وصورت روايات الروائيين المصريين: «إدوار الخراط»، و «صنع الله إبراهيم»، و«رؤوف مسعد»، و«بهاء طاهر» قطاعات كبيرة من حياة المجتمع القبطي في جميع أنحاء مصر[1].

وظهور ما يسمى بالأدب النوبي في مصر، بعد صدور مجموعة من المجموعات القصصية والروايات (من وقائع غرق السفينة، ودنقلة، وانفجار جمجمة لإدريس علي – ورواية ثنائية الكشر، وخالي جاءه المخاض لحجاج أدول، وروايات يحيى مختار) وهي تتحدث عن مجتمع النوبة في صعيد مصر، وتجمعاتهم في القاهرة والإسكندرية، وترصد

(1) يراجع : رواية « رامة والتنين» لإدوار الخراط ، ورواية « العمامة والقبعة» لصنع الله إبراهيم ، ورواية « بيضة النعامة» لرؤوف مسعد ، ورواية « خالتي صفية والدير» لبهاء طاهر .

مشكلاتهم، وعاداتهم وتقاليدهم.

وفي اليمن صدرت رواية «طعم أسود رائحة سوداء» للروائي اليمني «علي المقري»، وقد وصلت إلى الترشيحات النهائية لجائزة البوكر العربية هذا العام 2009م، وهي تصور معاناة طبقة السود (الأخادم) في المجتمع اليمني.

وبدأ تصوير الشخصيات الشيعية، والحديث عن حياتها، وأحوالها وهمومها، ومعتقداتها في الروايات الخليجية كما في رواية «حوام» للروائي البحريني حسين المحروس، وفي روايتي «التنور» و «البرزخ» للروائي البحريني فريد رمضان.

وبدأ ظهور الشخصية الشيعية بهمومها، ومشكلاتها، ومعتقداتها في الروايات السعودية، فوجدنا شخصية عبد الكريم في رواية «شقة الحرية» للدكتور «غازي القصيبي»، وشخصية فاطمة الشيعية في رواية «بنات الرياض» لـ «رجاء الصانع»، والشخصيات الرئيسة في رواية «الآخرون» لـ «صبا الحرز»، ورواية «القران المقدس» لـ «طيف الحلاج» التي تتحدث عن بنات القطيف، وغيرها من الروايات السعودية التي صدرت في الفترة الأخيرة.

5 – الاحتفاء بالأدب النسائي:

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا فرض النموذج النسوي الغربي على دول العالم المختلفة، دون مراعاة لخصوصية كل دولة

وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها، حاولت ذلك بصورة غير مباشرة من خلال المؤتمرات الدولية للمرأة والصحة والسكان في القاهرة سنة 1994م، وبكين سنة 2000م، وبصورة مباشرة من خلال ربط أجزاء من معوناتها الدولية بضرورة تحسين أوضاع المرأة في الدول التي تتلقى معوناتها.

وتبع هذا الضغط السياسي والاقتصادي لتحسين أوضاع المرأة في دول العالم الثالث ترويج مقولات النقد النسوي (Feminist Criticism) ونشرها في مفردات المناهج النقدية والنظرية الأدبية في جميع دول العالم.

تعتمد الأفكار الأساسية في النقد النسوي على أن الواقع الحضاري مسؤول عن صناعة الفروق بين الرجل والمرأة، بحيث تصبح المرأة دائما في مكانة التابع أو الهامشي، في حين يتصدر الرجل المشهد الحضاري بوصفه الممثل الطبيعي للإنسانية. هذه التفرقة في رأي رائدات النقد النسوي شديدة القسوة، لأنها تقهر نصف النوع البشري تحت مقولات عنصرية في أساسها، مثل التفوق الطبيعي للرجل، والقدرات الطبيعية المتدنية للمرأة في المقابل. هذا التوجه الفكري صاحبه جهد نقدي وإبداعي يهدف إلى إبراز دور المرأة في صناعة الحضارة الإنسانية، وتأكيد أنها ليست أقل من الرجل في القدرات الطبيعية، وأن ما يمكن أن تتسم به المرأة من ضعف وقلة خبرة هو نتيجة مباشرة للتفرقة الاجتماعية والثقافية الطويلة بين المرأة والرجل منذ ولادتهما، وليس جزءا معرفا لماهية المرأة.

في هذا الاتجاه حاول تيار الحركة النسائية زحزحة الرجل عن عرشه الحضاري، وإحلال المرأة مكانه. والتأكيد على أن الفروق الجوهرية بين الإبداع النسائي والإبداع الذكوري ليست فروقا طبيعية حتمية، وإنما هي وليدة عوامل اقتصادية واجتماعية ونفسية فرضت من قبل السلطة الذكورية.

وقد أدرك فريق من أعلام النقد النسوي في الفترة الأخيرة خطورة التوجه السابق ومشاكله، فرفضوا فكرة وجود تمايز جوهري بين إبداع الرجل والمرأة، وسعوا إلى تحليل وضعية المرأة، وصورتها، وكيفية تمثيلها في كتابات الرجال والنساء على حد سواء[1].

أدى هذا التسويق والترويج لأفكار النقد النسوي، ومقولاته المتطرفة والمعتدلة إلى ازدهار الحركة الأدبية النسائية في جميع أقطار الوطن العربي عامة، وظهرت تجلياتها واضحة في الدول التي لم تكن تتيح للمرأة حرية كبيرة في التعليم، والعمل، والإبداع.

في هذا السياق عقدت مؤتمرات وملتقيات كثيرة حول الإبداع النسائي، ودور المرأة وحقوقها، وأسس ملتقى دائم للمبدعات العربيات في مدينة سوسة في تونس، وعَقد عدة دورات حول إبداع المرأة، ودورها في الثقافة

---

(1) أيمن بكر، تشكلات الوعي وجماليات القصة، دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة، 2002م، ص 15 – 18 بإيجاز وتصرف، ويراجع: ريان فوت، النسوية والمواطنة، ترجمة أيمن بكر، وسمر الشيشكلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2005م.

والتنمية والحضارة، وناقش في دورته هذا العام (2009م) موضوعات الثورة التكنولوجية في مجالات الإعلام، ودورها في التقريب بين المجتمعات.

وتوالت الكتب والدراسات المقصورة على دراسة وضع المرأة العربية (نقد عقل المرأة لمنى أبو سنة – الوجه العاري للمرأة العربية لنوال السعداوي – مكانة المرأة في القرآن والسنة الصحيحة لمحمد بلتاجي ...)، ودراسة إبداعها الشعري والنثري وتحليله (شهرزاد وغواية السرد قراءة في القصة والرواية الأنثوية، والقصيدة الأنثوية العربية لوجدان الصائغ – المكان والجسد والقصيدة : المكان وتجليات الذات في القصيدة النسائية السعودية لفاطمة الوهيبي ...).

وأنشئت دور نشر متخصصة في نشر كتب المرأة وإبداعاتها (دار عين، ودار نور)، وأطلقت قناة فضائية للمرأة العربية.

وحقق عدد كبير من المبدعات والناقدات العربيات شهرة كبيرة عربيا ودوليا مثل رضوى عاشور، وسلوى بكر، وميرال الطحاوي (مصر)، وهدى بركات، وحنان الشيخ (لبنان)، ويمنى العيد، وهيفاء بيطار (سوريا)، وسحر خليفة (فلسطين)، وسميرة خريس (الأردن) وأحلام مستغانمي (الجزائر)، وربيعة ريحان، وفاطمة بوزيان (المغرب)، ورجاء عالم، وسعاد المانع (السعودية)، وسعاد الصباح، وليلى العثمان (الكويت)، وضياء الكعبي (البحرين)، وميسون القاسمي، وظبية خميس (الإمارات)، ووجدان الصائغ، وهند هيثم (اليمن)، وروضة الحاج (السودان).

وإذا ألقينا نظرة على وضع المرأة ودورها في المجتمع السعودي ، باعتباره أنموذجا للمجتمعات التي لم تكن تتيح للمرأة حرية كبيرة ، فنرى المرأة السعودية خلال العقدين الماضيين قد حققت نجاحا كبيرا ، وتفوقا ملموسا في مختلف مراحل التعليم ، و حققت الدولة الاكتفاء الذاتي من المعلمات في مراحل التعليم المختلفة ، وبرزت الفتاة السعودية في مجال الطب والعلوم، والاقتصاد والسياسة ، وبدأت تسهم بفكرها وقلمها في خدمة قضايا المجتمع. وأخذت المرأة تشق طريقها في مجال العمل ، وتؤدي دورا بارزا في التنمية الاجتماعية ، والاقتصادية ، والثقافية ، فشاركت في سوق العمل بأعداد كبيرة ، سواء في قطاع التعليم ،أو في المؤسسات الاجتماعية والصحية، وفي الوزارات والمكاتب الحكومية ، وأصبح لها وجود فاعل في الاقتصاد ، والصحافة والإعلام ، وشغلت مراكز مرموقة في وزارة التربية والتعليم ، وزاد عدد أعضاء هيئة التدريس في الجامعات من الإناث، وأصبحت المرأة عضوا في كثير من الأندية الأدبية والجمعيات الثقافية والفنية[1] .

وفي الفترة الأخيرة أسهمت المرأة إسهاما كبيرا في الحركة الأدبية والنقدية في الساحة السعودية والعربية ، وحققت الشاعرات السعوديات (د.فوزية أبو خالد - د. ثريا العريض - د. أشجان هندي – بديعة كشغري)

---

(1) نورة القحطاني ، الرجل في الرواية النسائية السعودية ، دار القلم ، دمشق ، ط1 سنة 2009 م ، ص 21 ، 23 .

مكانة مرموقة في الساحة الشعرية العربية .

ولفتت رواية «بنات الرياض» للروائية السعودية «رجاء الصانع» التي صدرت عام 2005م -بكثرة طبعاتها ، وتعدد ترجماتها إلى اللغات المختلفة – الأنظار العربية والدولية إلى الرواية النسائية في السعودية التي كثر عددها، وزادت نسبة الروائيات في الأعوام الثلاثة الأخيرة (رجاء الصانع – أميمة الخميس – ليلى الجهني – صبا الحرز – نورة الغامدي – أميرة القحطاني – قماشة العليان – زينب حفني – طيف الحلاج – أمل شطا - سمر المقرن – بدرية البشر ، وغيرهن كثيرات) وشكلن ظاهرة لافتة في الساحة الأدبية السعودية والعربية . وحققت بعض الروائيات السعوديات (رجاء عالم) مكانة مرموقة عربيا ودوليا .

وبرزت أسماء نقدية نسائية متميزة قدمن جهداً كبيراً في إثراء الحركة النقدية والأدبية ، وشاركن في كثير من المؤتمرات المحلية والدولية (د . لمياء باعشن – د . فاطمة الوهيبي – د. ميساء الخواجا – د. أميرة كشغري – د. فاطمة إلياس – د . نورة المري - د. إيمان تونسي – د . عائشة الحكمي – د. أميرة الزهراني - سهام القحطاني – نورة القحطاني – أمل زاهد –أمل التميمي –أمل القثامي –إيمان صبحي) وغيرهن كثيرات أثرين الساحة النقدية والأدبية السعودية والعربية.

6 – الجرأة في التعبير عن المسكوت عنه:

ارتبطت العولمة بثورة الاتصالات ، وهيمنة الشبكة العنكبوتية

(الإنترنت) والزيادة الهائلة في عدد القنوات الفضائية الأجنبية والعربية، مما أسهم في تقارب الدول على اختلاف معتقداتها، وعاداتها، وتقاليدها، وزيادة مساحة التأثير والتأثر فيما بينها، وبخاصة تأثير الدول المنتجة للمعلومات والتكنولوجيا في الدول المستهلكة لها، مصداقا لرأي ابن خلدون في مقدمته عن ولع المغلوب بتقليد الغالب.

هذه القنوات الإخبارية والمعلوماتية والترفيهية أسهمت بشكل كبير في الكشف عن المسكوت عنه سياسياً، ودينياً، واجتماعياً، وأخلاقياً، وتعريته بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وأصبح ما كان مستهجنا وغير مألوف – وبخاصة في الجانب الاجتماعي والخلقي – مألوفا، ويمارس في ضوء الحرية الشخصية، وحقوق الإنسان.

انعكس ذلك في انتشار القنوات الدينية التي تحاول الطعن في العقائد والديانات المخالفة لتوجهاتها، والقنوات الإخبارية التي تهدف إلى النيل من خصومها السياسيين، والقنوات الفضائية والمواقع الإباحية التي تتربح من مخاطبة الغرائز والشهوات الطبيعية والشاذة.

ساير الفن والأدب هذه الثورة المعلوماتية المتحررة، وأخذت بعض الأعمال الفنية والأدبية العربية ترصد كثيرا من مظاهر الخلل والفساد في الجوانب السياسية والاجتماعية والدينية والأخلاقية التي أضفت عليها العادات والتقاليد مظاهر القبول وإمكانية التعايش معها، كرواية «قوارب جبلية» للروائي اليمني «وجدي الأهدل» التي صدرت عام 2002م،

وهـي تسرد كثيرا مـن مظاهر الخلل في الواقع اليمنـي السياسي والديني والاجتماعي المعاصر، وقد تعرضت الرواية، ومؤلفها، والدار التي نشرتها لإجراءات عقابية شديدة.

وحازت رواية «عمارة يعقوبيان» للروائي المصري «علاء الأسواني» شهرة عربية ودولية كبيرة، فطبعت عدة مرات، وترجمت إلى عدة لغات، وحولت إلى فيلـم سينمائـي ومسلسل تليفزيـوني، وتميزت بجرأتهـا الشديدة في تناول مظاهر الفساد السياسي لدى بعض قيادات الحزب الحاكم في مصر، من خلال شخصية «كمال الفولي» التي تكاد تشير صراحة إلى الشخصية الحزبيـة القياديـة المقصـودة، وتعـدت الروايـة خطوطـا حمـراء دينيـة واجتماعيـة كثـيرة في تناولها للشذوذ الجنسي مـن خلال شخصية «حاتم رشيد» إحدى الشخصيات الرئيسة المرسومة بمهارة ودقة في الرواية.

ووظف الروائي المصري «يوسف زيدان» التاريخ المصري القديم في العهد القبطي في روايته «عزازيل» -التي فازت بجائزة البوكر العربية هذا العام- ليناقش بعض العقائد الأساسية في اللاهوت المسيحي الأرثوذكسي (طبيعة المسيح، والتثليث، وقيامة المسيح من الأموات)، وقوبلت الرواية بمعارضة شديدة من الكنيسة المصرية.

وعندما نشر الشاعر المصري «حلمي سالم» -قبل عامين- قصيدته «من شرفة ليلى مراد» في أحد أعداد مجلة «إبداع» المصرية، سحبت جميع نسخ العدد من السوق، لأن كثيرا من القراء رأوا في تشكيل بعض صورها تهجما

علـى مقـام الألوهية ، ونبهوا إلى ألفـاظ محددة لا تليق في مخاطبة الذات الإلهية.

أضـف إلى ذلـك أزمات سابقة في مصر مثل أزمة رواية «وليمة لأعشاب البحـر» للروائـي العراقي حيدر حيدر ، التـي نشرتها هيئة قصور الثقافة المصريـة (سنـة 2000م)، و أشـار أحـد الكتاب في جريدة الشعـب إلى جرأة أسلوبهـا، وتبجح مؤلفها على مقام الـذات الإلهية، واحتوائها على مقاطع جنسية صريحة ، فأثار المقال اضطرابات عارمة بين طلبة جامعة الأزهر. وتفجـرت بعدها بقليل ما يعرف في وزارة الثقافـة المصرية بأزمة الروايات الثـلاث في سنـة 2000م، وهـي ثلاث روايـات نشرتها سلسلة أصـوات أدبية التابعة لهيئة قصور الثقافة المصرية ، وكانت الروايات الثلاث تحتوي على مقاطع جنسية صريحة ، فهاجمت الصحف الوزارة، واضطرت هيئة قصور الثقافة إلى سحب النسخ من الأسواق ، وأقال الوزير هيئة التحرير المشرفة على سلسلة أصوات أدبية في حينها.

وعمـدت بعض الروايـات السعوديـة في الموجـة الروائيـة الأخـيرة إلى تعمـد كشـف المستـور ، كمـا في روايات: «بنـات الرياض» لرجـاء الصانـع، و«سعوديات»لسـارة العليـوي، و«حـد الأشـواك» لوفـاء العمـير، و«هنـد والعسكـر» لبدريـة البشر و«القران المقدس» لطيـف الحلاج، و «الآخرون» لصبا الحرز.

وبالغت بعض الروايات في التصادم مع قيم المجتمع وأخلاقياته ، وتجاوزت

الرغبة في البوح والكشف إلى رصد مظاهر الانحراف الأخلاقي، والحديث عنها بما يصدم الذوق والقيم، كما في روايات «الأوبة» لوردة عبد الملك، و «ملامح» لزينب حفني ، و «الآخرون» لصبا الحرز ، و «شارع العطايف» لعبد الله بن بخيت.

ومع أن رواية «الآخرون» تتميز بلغتها الأدبية العالية ، فإنها قد هبطت عن مستوى القيم والأخلاق بطرحها الصريح لقضية المثلية الجنسية والشذوذ الجنسي لدى المرأة (وكذلك رواية «شارع العطايف» التي تتناول قضية الشذوذ الجنسي لدى الرجال) ، وعرضها بصورة جريئة تتنافى مع قواعد الذوق والحياء ، وتطرح سؤالا ملحا : ما الغرض الفني والأخلاقي من عرض تجارب شاذة بهذا الإلحاح ، وعبر عدد كبير من شخصيات الرواية ؟ [1].

مما دفع بعض النقاد إلى الاحتجاج الشديد على نماذج كثيرة من الموجة الروائية السعودية الأخيرة ، والاعتراض على « الإطار الذي غمرتنا فيه الروايات السعودية حتى درجة الغرق والقرف ، وغدونا نخجل من الآخرين بسبب صورتنا العفنة التي رسمها الكتاب لمجتمعهم» [2].

وأطلق الناقد «سحمي الهاجري» تحذيرا شديدا لمن أسماهم أصحاب الروايات القذرة بقوله: «صح النوم ! طفرة الروايات القذرة انتهت» [3].

---

(1) عبد الله البريدي ، الجزيرة الثقافية (الملحق الثقافي بجريدة الجزيرة السعودية) ، بتاريخ 16 / 4 / 2007 م .

(2) أميرة الزهراني ، شذرات ، مجلة اليمامة السعودية ، الرياض ، بتاريخ 23 / 6 / 2007 م .

(3) سحمي الهاجري ، صح النوم ، الأربعاء (الملحق الثقافي بجريدة المدينة المنورة السعودية) ، بتاريخ 8 / 4 / 2009 م .

ولعل الإجابة عن السؤال السابق (ما الغرض الفني في عرض تجارب الشذوذ ؟) تكشف دواعي الاحتجاج والاعتراض، وهي تكمن فيما طرحناه سابقا عن الرغبة الملحة في مصادمة المجتمع بمحاولة تعريته، والصراحة والجرأة في الحديث عن المسكوت عنه اجتماعيا وأخلاقيا لفترة طويلة.

وبعد فتلك بعض آثار العولمة وتداعياتها في الأدب العربي المعاصر التي رصدتها في هذا البحث، ولعل بعض هذه الآثار تتفق الأكثرية على إيجابياتها في الثقافة العربية والأدب العربي المعاصر، مثل تأكيد الهوية الوطنية، والحفاظ على الخصوصية الثقافية، وفتح آفاق جديدة أمام الأدب العربي، لنشره على أوسع نطاق عربي ودولي. وقد يختلف البعض حول الجوانب الإيجابية والسلبية في آثار العولمة الأخرى مثل توسيع المجال للتعبير عن أحوال الأقليات والمهمشين في المجتمعات العربية، ورصد همومهم ومشاكلهم، وتصاعد الاحتفاء بالأدب النسائي، إبداعا، ونشرا، ومتابعة ودراسة، وارتفاع نبرة الصراحة والجرأة في طرح قضايا سياسية، ودينية، واجتماعية، وأخلاقية ظل مسكوتا عنها عربياً مدة طويلة.

المراجع

(1) باعشن، لمياء (دكتورة)

زوايا الدائرة ، وكالة الرواد للدعاية والإعلان ، جدة ، ط1 ، سنة 2008 م .

(2) البحيري، أسامة (دكتور) :

القصة القصيرة جدا في السعودية (مقاربة نصية) ، مجلة الراوي، النادي الأدبي بجدة ، عدد 20 ، مارس 2009 م .

(3) البشر، محمد (دكتور)

أوروبا تحارب العولمة ، المجلة العربية ، الرياض ، عدد 343 ، ربيع الآخر سنة 1418هـ / 1997 م .

(4) بكر، أيمن (دكتور)

تشكلات الوعي وجماليات القصة ، منشورات دائرة الثقافة والإعلام، الشارقة ، ط1 ، 2002 م .

(5) الجابري، محمد عابد (دكتور)

العولمة والهوية الثقافية (عشر أطروحات) ، مجلة المستقبل العربي ، بيروت ، 1998 .

(6) الدباسي، صالح (دكتور)

العولمة والتربية ، مطبعة سفير، الرياض ، ط1 سنة 2002 م .

(7) الشنطي، محمد صالح (دكتور)

في الأدب السعودي ، دار الأندلس ، حائل ، السعودية ، ط 4، سنة 2006 م .

(8) عصفور، جابر (دكتور) :

النقد الأدبي والهوية الثقافية ، كتاب دبي الثقافية، الإمارات العربية، عدد 21 ، فبراير 2009 م .

(9) فوت، ريان

النسوية والمواطنة ، ترجمة أيمن بكر ، وسمر الشيشكلي ، مكتبة الأسرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة 2005 م.

(10) القحطاني، نورة

الرجل في الرواية النسائية السعودية ، دار القلم ، دمشق ، ط1 ، سنة 2009 م .

(11) النجار، محمد رجب (دكتور)

حوار أجراه معه الروائي عبده خال بعنوان «عاشق الأسطورة يموت بعد أن أهدانا عروبة كليلة ودمنة» ، مجلة الراوي ، النادي الأدبي بجدة ، عدد 20 ، مارس 2009 م .

(12) ياسين، السيد :

العرب والعولمة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، سنة 1998م .



أسامة محمد إبراهيم البحيري .

- دكتوراه من جامعة طنطا .
- يعمل حاليا في كلية الآداب – جامعة جازان .
- شارك في عدد من المؤتمرات العلمية في مصر والسعودية.

الكتب والأبحاث المنشورة :

- تحولات البنية في البلاغة العربية .
- المدائح النبوية .
- شعر الثعالبي: دراسة إحصائية .
- المجاز والانتماء المعرفي .
- نماذج من خطاب الأنثى في التراث العربي .
- قصيدة القناع في ديوان حافظ إبراهيم .
- تجليات القناع في شعر أحمد البهكلي .
- دوائر الحزن وفضاء الوطن (دراسة في شعر علي النعمي) .
- شعرية المألوف (قراءة في شعر محمد حبيبي) .
- قراءة في ديوان (البحر يغرق) للشاعرة آمنة بنت محمد آل علية .
- قراءة في ديوان (فواصل لذاكرة الغياب) للشاعر أيمن عبد الحق .
- تشكيل الزمن السردي في السيرة الذاتية السعودية .
- شعرية التشكيل في الرواية النسائية السعودية .
- القصة القصيرة جدا في السعودية .
- تفاعل السرد والتاريخ في الرواية اليمنية الجديدة.
- دراسة وتحقيق: (كتاب الكناية والتعريض) للثعالبي.
- دراسة وتحقيق: (كتاب سجع المنثور) للثعالبي .
- دراسة وتحقيق: (كتاب برد الأكباد في الأعداد) للثعالبي .
- دراسة وتحقيق: (كتاب زهر الربيع في المثل البديع) للنواجي .